ولقد أمر ربنا تبارك وتعالى خير خلقه وخاتم أنبيائه ورسله باتخاذ قدوة حقيقة متبرئًا مما عليه أهل زمانه من الشرك وعبادة الأوثان فقال جل شأنه لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: 123]

أي: ومن كماله-إبراهيم -عليه السلام-- وعظمته وصحة توحيده وطريقه، أنا أوحينا إليك يا خاتم الرسل وسيد الأنبياء: {أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

كما قال: في "سورة الأنعام": {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام: 161](1)

بل إن الله أمر عباده المؤمنين أن يلتمسوا القدوة والأسوة الحسنة في إبراهيم -عليه السلام- ومن كان معه من الأنبياء ومن سار على منهجه فقال سبحانه: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ} [الممتحنة: 4]

وبمثل هؤلاء يكون الاقتداء والاتباع، تُرى لماذا أمر الله عز وجل أفضل خلقه باتباع خليله إبراهيم -عليه السلام-، هذا ما سنبينه في العناصر التالية:

لمحات من حياة الخليل -عليه السلام-:

نشأ الخليل -عليه السلام-، في بيت أبيه وكان أبوه من عباد الأصنام المدافعين عنها المنقطعين لعبادتها، أما أمه فلم تذكر في الكتاب ولا السنة والظاهر والعلم عند الله أنها كانت مسلمة، ومستند ذلك أن إبراهيم -عليه السلام-، استغفر لوالديه كما في قوله: {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} [إبراهيم: 41] ثم إنه تراجع عن الاستغفار لأبيه فقط(2)، لكن الله جل جلاله من على خليله إبراهيم منذ صباه فآتاه عقلاً سديدًا ورأيًا رشيدًا، وهداه ربه إلى صراطه المستقيم وهذا من علم الله ورحمته بعباده قال سبحانه: {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ} [الأنبياء: 51]

يقول تعالى ذكره: {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ} موسى وهارون، ووفقناه للحق، وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته من عبادة الأوثان، كما فعلنا ذلك بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وعلى إبراهيم فأنقذناه من قومه وعشيرته من عبادة الأوثان، وهديناه إلى سبيل الرشاد توفيقا منا له،

وقوله: {وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ} يقول: وكنا عالمين به أنه ذو يقين وإيمان بالله، وتوحيد له، لا يشرك به شيئا(3).

منزلة الخليل إبراهيم -عليه السلام-

الخليل إبراهيم -عليه السلام- هو أحد أولي العزم الخمسة من الرسل وهم الذين أخذ الله منهم ميثاقًا غليظا قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} [الأحزاب: 7]

ولقد اصطفاه الله على الناس بأمور عظيمة منها:

1-أن الله عز وجل اتخذه خليلاً: قال تعالى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: 125]

2-جعله الله للناس إمامًا: فقال سبحانه: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} [البقرة: 124]

3-جعل الله في ذريته النبوة والكتاب: قال تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [العنكبوت: 27]

4-أن الله جعل من رغب عن سنته من السفهاء: فقال: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [البقرة: 130]

وقوله تعالى: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ} أي: عن طريقته ومنهجه. فيخالفها ويرغب عنها {إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ} أي: ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال، حيث خالف طريق من اصطفي في الدنيا للهداية والرشاد، من حَداثة سنّه إلى أن اتخذه الله خليلا وهو في الآخرة من الصالحين السعداء -فترك طريقه هذا ومسلكه وملّته واتبع طُرُقَ الضلالة والغي، فأي سفه أعظم من هذا؟ أم أي ظلم أكبر من هذا؟ كما قال تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}(4).

5-جعله الله أسوة لعباده المؤمنين: قال سبحانه: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ} [الممتحنة: 4]

6-أن الله جعله خير البرية: ففي الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: " ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ -عليه السلام- "(5).

7-ومن أوجه اصطفائه -عليه السلام- أيضًا: أننا أمرنا أن نصلي عليه في كل صلاة نصليها فنقول: " اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ"(6).

ولو مضينا نبحث في فضل إبراهيم وتكريم الله له فسوف نمتلئ بالدهشة. نحن أمام بشر جاء ربه بقلب سليم. إنسان لم يكد الله يقول له أسلم حتى قال أسلمت لرب العالمين. نبي هو أول من سمانا المسلمين. نبي كان جدًا وأبًا لكل أنبياء الله الذين جاءوا بعده. نبي هادئ متسامح حليم أواه منيب(7).

مواقف إيمانية من حياة الخليل إبراهيم -عليه السلام-:

لقد تحدث ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم عن مواقف إيمانية عديدة لخليل الرحمن -عليه السلام-، ومن هذه المواقف:

-موقف الخليل إبراهيم -عليه السلام- ودعوة أبيه آزر: قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا} [مريم: 41 - 50]

ويستفاد من هذا الموقف:

-من نظر إلى أسلوب الخليل إبراهيم -عليه السلام- وما فيه من اللطف والرقة وحسن الأدب، فهو يخاطب أباه بقوله: {يَاأَبَتِ} وكررها في معرِض خطابه أكثر من مرة دليل على حسن بره بأبيه وخوفه وشفقته عليه من الوقوع في العذاب، وهكذا لابد لأبناء المسلمين أن يقتدوا بهذا، وكذلك لابد للداعية أن يكون في مخاطبته للناس أن يكون رفيقًا بهم مشعرًا لهم بحبه وحرصه على مصلحتهم وعليه أن يلتزم التواضع وخفض الجناح لهم.

 قال السعدي: " وقد أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم -عليه السلام-، فمن اتباع ملته، سلوك طريقه في الدعوة إلى الله، بطريق العلم والحكمة واللين والسهولة، والانتقال من مرتبة إلى مرتبة والصبر على ذلك، وعدم السآمة منه، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعلي"(8).

 ثم مع هذا الأسلوب الرفيع الحسن إلا أن والد إبراهيم لم يستجب لقوله ونصحه بل قابله بكل غضب وعنف وسِباب فقال له: {أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا}، ومع هذا الأسلوب العنيف إلا أن إبراهيم -عليه السلام- لم يقابله بعنف آخر ولم يخرجه ذلك عن حدود الأدب مع أبيه ولم يجد جوابا لما قال إلا أن يقول له: {سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} يعني: أما أنا فلا ينالك مني مكروه ولا أذى، وذلك لحرمة الأبوة، {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي} أي: ولكن سأسال الله تعالى فيك أن يهديك ويغفر ذنبك، {إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} قال ابن عباس وغيره: لطيفًا، أي: في أن هداني لعبادته والإخلاص له(9).

ثم أعلن الخليل إبراهيم -عليه السلام- عن شخصيته ودينه وبراءته من الشرك وأهله فقال: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا}، فأراد بهذا الدعاء أن يهب الله تعالى له أهلا وولدًا يتقوى بهم حتى لا يستوحش بالاعتزال عن قومه(10).